

الفصل الرابع

الطابع العام للشيعوية

في هذا الفصل نروي قصة تصور الطابع العام للشيعوية . ونذكر تعليقاً موجزاً عليها ..

والقصة قصة حقيقية ، حدثت فعلاً ..

وهي قصة حديثة العهد نسبياً ..

وهي تهدم كل ما يحاوله الشيوعيون من تبرئة الشيوعوية من عداوة الدين ..

وصاحب هذه القصة أستاذ من أكبر أساتذة الطب ، مصرى تفخر به

جامعاتنا ، ويفخر به عالم الطب ، وقد حدثني بها بنفسه ..

ذهب إلى روسيا لأمرين :

(أ) ليرى المعاهد الطبية التي يمكن أن يتدرب فيها طلبتنا المصريون .

(ب) ليلقى بعض المحاضرات عن نظرية اكتشفها في عالم الطب : لها

صداها . ولها زينتها وتقديرها ..

وأقاموا له في « لينينجراد » حفل تكريم حضره اثنان وثلاثون من علماء

الأكاديمية الطبية ..

وأخذ الكثير منهم يبدى إعجابه بأستاذنا الطبيب : متحدثاً عن المنهج

العلمي . والطريقة المنهجية . والدقة في استخراج النتائج ، والوصول إلى الغايات .

ولكن .. ولكن أسفنا - كما قالوا - شديد .. ذلك أنه بلغنا أنك متدين ..

وجرى الحوار الآتي :

قال صاحبنا : ولم أسفتم لتدبني ؟

قالوا : لأنك تؤمن بالخرافة ..

.. ماهي الخرافة التي أومن بها ؟

.. ماتسمونه : الله ، إنه خرافة ، إذ لا وجود له ..

.. إن عجبى أشد لسماح هذا الكلام من فم العلم ، ذلك أن العلم يؤكد في

كل قوانينه وقواعده وجود الله ، فترابط الكون وتماسكه ، وجعل بعضه علة

لبعض ، وذلك في بلايين بلايين الأشياء ، إن كل ذلك يؤكد ألا مصادفة ،

وإذا انعدمت المصادفة فلا بد من القول بوجود إله ..

.. كل ذلك لا أساس له عندنا .

... ماهو الأساس الذي تؤمنون به ؟

.. إننا تؤمن بالإنسان . فالإنسان حقيقة ، والغيبيات خرافة ..

.. إننى أيضاً أومن بالإنسان ، إنى أومن بالإنسان اتباعاً لدينى وسيراً على

مبادئه .. ولقد كرم الإسلام الإنسان بما لم يكرمه مذهب قديم أو حديث

ووصل به إلى أن جعله خليفة الله في أرضه . وترجم لهم قوله تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) .

فالإنسان خليفة الله في الأرض ، وأى منزلة أسمى بالنسبة للإنسان من أن

يكون خليفة الله في الأرض ؟

ويقول سبحانه : (ولقد كرمنا بني آدم) ..

الإنسان في الإسلام مكرم ، وهو خليفة الله ..
 وهذه الخلافة مشروطة ، إنها تتضمن كشرط لا بد منه ألا يستعبد
 الإنسان ، وأن يتحرر الإنسان من عبودية الإنسان .. فكلاهما خليفة الله ،
 والخلافة تحرير وانطلاق وليست ذلة وعبودية ..

ثم سجود الملائكة للإنسان الذي ذكره القرآن الكريم ، مارأيكم فيه ؟
 أليس هو تكريم أمسى ما يكون التكريم ؟
 وبهت العلماء وقالوا :

هذا الكلام من أين أتيت به ؟

من القرآن ..

أهو الكتاب الذي ألفه « محمد » ؟

إن « محمدًا » لم يؤلف كتابًا ، وما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان ،
 ولكن القرآن حق من لدن الله ، علمه الله لرسوله ، ونحن نتبعه ..
 واستمر صاحبنا في الحديث فقال :

ولم يأت القرآن بشيء يتعارض مع العلم .

وفي القرآن آيات علمية لا يعرفها العرب ، وبعضها فسر في الزمن الحديث
 مثل آيات الخلق ، وأطوار الجنين وترتيب هذه الأطوار في الخلق .

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
 فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ،
 فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ
 خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) .

ونزول المطر يشرحه القرآن بأحدث نظرية اكتشفت في السنوات الأخيرة .
 (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ
 وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) .

إن صلة الرياح بتزول المطر ، أصبحت الآن معروفة ، ولم تصبح معروفة إلا
 في هذه السنوات الأخيرة ..

وأراد صاحبنا أن يستمر في الشرح والتوضيح ..
 ولكن .. انتفض رئيس الأكاديمية ، وهب واقفاً .. وقال منفصلاً :
 مع احترامي لضيفنا العربي ، لا بد أن أوقف هذا السبل من الكلام
 الفارغ ، وإني أقول لكم بكل قوة ، إن كل ما قاله كلام فارغ ..
 والنصر للشيعوية ، وإن ثلثي العالم الآن شيوعيون وسيصير الثلث الثالث
 شيوعياً إن قريباً وإن بعيداً .

لا بد أن أنهى هذه الجلسة ، انتهت الجلسة ..
 واستعمل رئيس الأكاديمية لفظ « كلام فارغ » دون حياء أو خجل ،
 أو بحاملة للضيف ..

ومن هو الضيف ؟ .. إنه أستاذ في الطب .. من مفاخر الطب ولكن رئيس
 الأكاديمية يسير على منهج الشيوعية ..

ومنهج الشيوعية - في العقيدة - حده « ماركس ، ولينين » في كلمات ،
 يقول « ماركس » :

« لإله ، والحياة مادة » ..

« ما الدين والأخلاق والقانون في نظر البروليتار ، إلا آراء بورجوازية ، :

ورسالة البروليتاريا هي القضاء على الدين والداعين إليه ..

« إن الدين هو أفيون الفقراء » ..

ويقول « لينين » :

« الإلحاد جزء طبيعي من الماركسية لا يتفصل عنها » ..

بعد كل ذلك يمكننا جميعاً أن نقول مع الأستاذ جلال كشك :

« الماركسية دعوة لادينية » ..

والماركسي الذي يزعم أنه لا يعارض الدين : كاذب ..

والشيوعي الذي يثنى على الدين : منافق ..

والماركسية نظرية مادية ، والمادية تنكر الأديان .. المادية تؤمن بأسبقية

المادة على الفكر ، والدين عندها فكرة صنعتها المادة ..